قصة

عزيز

هذه قصة تقع حوادثها كل يوم . وفى مختلف البلدان . فيغتر الانسان بما يراه فى غيره من سمو المركز وضخامة المرتب . ولو كشف الستر عن حقيقة حاله لبدت له أمور تقشعر منها الابدان . وتصطك من هولها الركب .

* * *

خرج زوجها بعد ما تبلغ بلقمتين و اخذ يشتد فى سيره ميمماً مكتبه . ومع بعد الشقة بين منزله وبين محل عمله كان يقطع المسافة ماشيا ليقتصد ما امكن . لان ضآلة مرتبه لم تكن تسمح له الا بعيش الضنك والضيق .

اقتربت جميلة من المائدة ونزعت عنها صحفة الاكل فطرق اذنيها نقر على الباب ففتحته وهى تسائل نفسها عمن عساه ان يكون الطارق . وللحال اجفلت عند ما وقع نظرها على الزائر وكادت تغلق الباب فى وجهه لكنها احجمت خجلا وخشية . فاقترب منها بجرأة بعدما أغلق الباب وراءه . وكان شابا فى ريعان الصبا . جميل الطلعة . انيق الملبس . فتقهقرت مذعورة وتمتمت :

عزيز افندى ! . ماذا جئت تفعل ؟

ــ جئت لأراك .

ــ ولكن زوجى ليس هنا .

ــ اعرف ذلك . فقد انتظرت فى الشارع حتى خرج .

قال هذا واقترب منها فتقهقرت جميلة مرتاعة وحاولت عبثا التغلب على اضطرابها وكان عزيز افندى رئيسا لزوجها فى وظيفته وبيده تقدمه وتأخره . وابقاؤه واخراجه وقد ابصر بها مرة فبهره جمالها ودنف بحبها . فكاتبها شارحا لها حالة فلم تجبه بكلمة . فقابلها فى احدى المنتزهات وبث لها جواه فاعرضت عنه . ولما اعيته الحيل اقتحم منزلها فى غيبة زوجها غير هياب ولا وجل .

وكانت جميلة واقفة منتصبة القامة فى ثوبها الابيض البسيط الذى يبدي تكاوين جسمها البديعة وهى ساجية الطرف . خافقة القلب . وقد شحب وجهها الجميل من الجزع . وانحل شعرها الاسود الفاحم . فتدلت خصائله على محياها الابيض . فاشبهت بدراً تلفع بالغيوم الداكنة .

وكانت وهى واقفة ساكتة صامتة وقد عقل الخوف لسانها تحاكى آلهة الجمال تجاه اله الحب المهاجم . فتأملها عزيز ملياً وقد بدت له فى موقفها اجمل وابدع مما رآها فى كل المرات السابقة . فقال لها بصوت عذب:

هل انا مخيف الى هذه الدرجة حتى ترتعدين منى فرقا ؟

فتمالكت نفسها قليلا واجابت :

يجب ان تذهب

— لااقدر لانى احبك .

فرفعت اليه عينيها السوداوين النجلاوين وقالت : وانالااحبك بل احب زوجى.

— هذا مالااصدقه لان واحدة مثلك لايمكن ان تحب شخصا فقيراً معدما لاجمال يزينه ولا كفاءة.

فرجعت اليها شجاعتها وقالت :

ان هذا يعنيني . وليس لك دخل فيه . وماتصرفك الاانذالة لاتصدر من شهم شريف لان زوجى تابع لك وتحت مطلق ارادتك واثق من انى لااقدر ان اشكوك اليه لانه لايقدر ان ينالك بسوء. فاذا كنت تحبنى كما تدعى ،تدعنى وشأنى.

— لايمكننى تركك فى البؤس الذى تعيشين فيه .

— انى راضية بحالتى . مسرورة من معيشتى

— لااصدقك . فمن كانت بجمالك يجب ان تتمتع بكل ملاذ الحياة وتتنعم باطايب العيش . لاان تدفن نفسها فى جدث البؤس والشقاء . . فكرى ياجميلة فى حالتك. وقارنى بينى وبين زوجك . فانا غنى اغدق عليك الخيرات . وهو فقير لايملك غير قوت يومه فضلا عن ان فقدانه لمركزه متوقف على كلمة منى . فماذا عليك لو احببتنى ؟ فلا يدرى احد بتلاقينا . لاننا سنتوخى كل احتياط وحذر . واعدك بانى ارقى زوجك وازيد فى راتبه زيادته عظيمة

فصاحت غضبي : اتريد ان تشترى شرفى بالمال ؟

ـ انى احبك وكل ماأصبوا اليه ان اراك سعيدة

فقالت متوسلة : دعنى بالله عليك

فلمعت عيناه سروراعندمارأى تضرعها الان توسل المرأة أول مرحلة استسلامها فأجاب:

ان ادعك لانى أحبك من كل جوارحى

وهجم عليها وطوق خصرها بذراعيه . فتخبطت بشدة وتملصت منه ودفعته عنها بقوة لم تكن تعهدها فى نفسه فتمايل حتى كاد يقع على الأرض . ثم صاحت فى وجهه

ايها الوغد . اخرج والاستغيث فتسوء عاقبتك

فاصلح عزيز ما اختل من هندامه وقد تولاه الخزى والغضب وخرج قائلا :

ستندمين حيث لاينفع الندم

فسقطت جميلة على مقعد وطفقت تبكى وتنتحب . وتفكر فيما عساه ان يفعل وهل من الواجب ان تطلع زوجها على ماجرى اوتترك المقادير تفعل ماتشاء ؟

لبثت طيلة يومها متوجسة خوفا مما سيجرى . حتى اذا أقبل زوجها تفرست فى وجهه مستطلعة طالع أمره كأنها تريد أن تستشف دخيلة نفسه قبل أن يفوه بها .

وكان زوجها لطفى قصير القامة . نضيض اللحم محدودب الظهر . مستطيل الوجه يضع على أنفه الكبير نظارة لضعف بصره . وكان فى هذه الليلة متأففاً من عيشه اكثر من ذى قبل . فصاح حالما رأى امرأته :

اف لعيش كله نكد . الا يكفينى ما أنا فيه حتى يزيد عزيز افندى فى همى وشقونى فقد اساء اليوم معاملتى بمرأى ومسمع من زملائى بحجة انى كسول متهاون فى عملى وغير كفء لان أقوم باعباء وظيفتى . وتوعد بفصلى فى القريب العاجل . ولا أدرى ما الذى دفعه الى ذلك . فقد كان دائما يعاملنى احسن معاملة ويكرمنى ايما اكرام . فما الذى فرط منى بحقه حتى أجابه بمثل هذه الصرامة ؟

لفظ لطفى الجملة الاخيرة بلهجة الباكى . فتطلعت اليه جميلة بشفقة ممزوجة بشىء من الاحتقار . لان النساء من طبعهن اجلال الرجل القوى الجبار . واحتقار الضعيف النعيف مهما مت هذا اليهن بصلة . ثم قالت له : لا تأبه بقوله وارفع ادرك لحافظ بك المدير العام فهو ينصفك بلا ريب .

فدهش لطفى من قولها ونزع نظارته وتطلع اليها بعينيه الصغيرتين وقال : لقد جننت يا جميلة . ارفع امرى لحافظ بك المدير العام ؟ أتظنين انه يسمح لى بمقابلته ؟ انه لا يعرفنى ولم يسمع باسمى قط فضلا عن أنه يثق بعزيز افندى ثقة لا حد لها . فكل ما يفعله هذا يوافق عليه بدون بحث ولا تمحيص . آه . يا جميلة . انى تحت رحمة عزيز افندى وهو حانق على لامر لا اعرف كنهه . فماذا سيحل بنا اذا فصلنى من وظيفتى ؟ واين اجد مثلها فى هذا الوقت العصيب ؟

ولبث مدة ينتحب . وجميلة ذاهلة عنه . تفكر فى الامر لتجد له حلا . فقد عدلت عن اخباره بسبب حقد عزيز افندى عليه . لانها ايقنت بانه عاجز عن الدفاع عن نفسه فكيف بالدفاع عنها هى ايضا . ولكن ماذا سيحل بهما اذا فقد زوجها مركزه . فحالتهما كانت شديدة الارتباك رغما عن مرتب الوظيفة . فالى اى حد ستصل اذا ضاع لطفى مركزه ؟ وكل هذا من جراء الوغد عزيز افندى . . .

وللحال فتق لها ذهنها حلا . فاعترتها منه رعدة لكنها صممت على العمل به مهما كلفها .

وفى صبيحة اليوم التالى ارتدت احسن ثوب عندها وقصدت مكتب حافظ بك مدير البنك العام . ولم تكن واثقة من انها ستتمكن من مقابلته . لكنها أدخلت بعد انتظار طال امده الى مكتب مفروش بفاخر الرياش فوجدت فيه رجلا حليق الذقن والشارب اسمر الوجه يناهز الخمسين من عمره . تدل عيناه الصغيرتان على الخبث والرياء . وشفتاه الغليظتان على الشهوة والحيوانية .

فلما ابصرها وتبين جمالها خف لاستقبالها هاشا باشاً واجلسها الى جانبه وجرأها على الافصاح عن مرادها بكل صراحة مفهماً اياها بانه تحت امرها وطاعتها ولا يتمنى الا رضاها . فسرى عن جميلة وتبددت مخاوفها . وشرعت تقص عليه حادثتها مع عزيز افندى وكيف دخل منزلها ولما مانعته صب جام غضبه على زوجها وعزم على فصله من وظيفته .

وكانت تتكلم بحدة رقيقة زادت فى تورد خديها وبريق عينيها . وحافظ بك مقبل بكليته عليها . سامع منها حتى فرغت مما عندها . فتطلع اليها بشغف وهيام وقد الفاها

فى تلك اللحظة اجمل مما بدت له عند دخولها عليه وقبض على يديها بكلتا يديه فلم تمانع لانها أيقنت مما مر بها إن الصد والجفاء يورثانها الفقر والذل ،وان حالتها التى هى فيها تكادلا تحتمل . فكيف بها اذا انقطع مورد رزق زوجها الضئيل .

لقد أتت الى حافظ بك لتدفع الحيف عن نفسها وتمنع وقوع النازلة بها و بزوجها ولم تكن قد اعتزمت امراً . ولكن بما أن القدر لا يهي ء لها العيش الا على غارب التبذل وترك التصاون والعفة ،فليكن ما يريده القدر

فاقسم مدير البنك العام ايماناً مغلظة ليرفعن عزيز افندى و يضعن زوجها مكانه . وان تقدم لطفى سيكون باضطراد مستمر اذا هى والت المجيء اليه لتذكيره بامره . وزاد على ذلك قوله :

انى آسف غاية الاسف على ما بدا من عزيز افندى وسيكون عقابه عبرة لسواه فتقى بى ايتها الحسناء . وتأكدى انى لا أرفض لك طلباً ولا احجم عن امر تريدنه منى مهما كبر وعظم . فعودي الى غداً فى هذا المكان أو فى غيره . . . لندبر شأننا . أليس كذلك؟ فاجابت بصوت مضطرب خافت لا يكاد يسمع : سأعود اليك .

ولم يمض على زيارتها هذه التى اعقبتها زيارات غير قليل من الزمن حتى فصل عزيز افندى من وظيفته وعين مكانه لطفى افندى بمرتب يزيد عشرة اضعاف عن مرتبه الاصلى فحسنت حاله ورفه عيشه واقبلت عليه النعمة تجرر اذيالها .

ولم ندر هل عرف السر فى تقدمه الذى لم يحلم به ولم يكن له اهلا أم اشتبه فى الامر .لكنه رضى به كما رضى به غيره ولسان حاله يقول: الضرورات تبيح المحظورات؟

ن . ج . ن

الشفق البشاكى
للدكتور أبى شادى
شعر ، ونقد ، وأدب تام
يطلب من المطبعة السلفية بالقاهرة ومن المكتبات الشهيرة